

تلازم بين اللغة وانتشار الإسلام

للكوئح محمد عبد الرحمان مرحبا

جامعة بيروت العربية - لبنان

ضعف بل تبعا لعوامل سياسية يعززها الاستعمار والرجعية والجهل .

وانطلاقا من هذه النظرة أيضا لا أرى أي قاتسر للفكر الإسلامي في اللهجات أو اللغات الإقليمية من الاقطار الإسلامية غير العربية لا لشيء إلا لاني لا أرى علاقة بين الإسلام واللغة العربية اللهم إلا العلاقات التاريخية .

ان اللغة العربية يجب أن تحتل المكانة الأولى في بلدنا مسلمين ومسيحيين بالنسبة الى الفرنسية او الانجليزية ، وهذا ما هو واقع بالفعل ويعمل المسؤولون عندنا على الاهتمام به .

اني لا اجد أي علاقة أو تلازم بين انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية ، فالمعلوم ان الكثيرين دخلوا في الإسلام (هنود وأتراك و ...) عن يد دعاة مسلمين ليسوا عربا ، فاللغة العربية كانت مجرد أداة من الأدوات التي استعملها الإسلام لنشر تعاليمه لا سيما وان قطاعا كبيرا من العالم العربي لا يدين بالإسلام .

وها نحن في لبنان قد تحدث عندنا حزازات طائفية بين المسلمين والمسيحيين ، وهذه الحزازات لها عوامل كثيرة ليس من بينها عامل اللغة العربية فهي لغة الجميع .

ان الوعي الإسلامي والوازع الديني لا يقويان أو يضعفان عندنا تبعا لما يعتري اللغة العربية من قوة أو



مدينة - وهي جميعها حصيلة الانحطاط ، ومن رواسب الاستعماريين الفكري والسياسي المتمادين - منذ استولى الاعاجم على الحكم في بغداد وسواها من عواصم الاسلام .

في هذه الاثناء - خلال قرون الانحطاط والظلام - كانت مدارس الاديرة في جبل لبنان ، والصوامع ، وراهبانها ، وكهنتها ، يعكفون ، كائمة المساجد ، وشيوخ الجامعات العربية الاسلامية ، في شمال افريقيا ومصر والعراق على درس اللغة العربية وتدريبها ، التي جانب اللغات الاخرى التي تستدعي الحياة الكهنوتية دراستها - من سريانية ويونانية ولايتينية .

11 - وهذا الواقع اثمر ثمرتين هما اولا : استمرار التلاقي بين لغتنا واللغات الاخرى ، وبالتالي اغناء هذه اللغة العربية بالمفردات والتعابير والاساليب .

وثانيا : تاثر الكتابة العربية ببعض الاصطلاحات السريانية ، وتأثر النطق ايضا . فحرف السين مثلا يرسمه المتعلمون ، في المدارس الكهنوتية ، تلوه شارة خاصة شبيهة بنقاط الشين (8) - والجيم - الحرف القمري في اللغة العربية ، يلفظونه كأنه حرف شمسي . والتاء المربوطة ، يلفظونها ، عند الوقف ، تاء مبسوطة - لا هاء - كما يقتضي ذلك علم التجويد ، وحسن اخراج الحروف .

وهناك تأثير ابرز ، في اللغة العربية المحكية ، في كثير من القرى اللبنانية - في الشمال - وبعض المدن - تأثير جاء اليها من السريانية بالذات . ومثاله لفظ الالف - حرف المد المعروف - كأنه (واو) . فطرابلس ، تلفظ هناك (طروبلس) - تأثرا باللهجة السريانية ذاتها التي تأثر بها كتبه الوحي . فخطوا (صلاة وحياة ...) هكذا (صلوة ، حيوة ...) في المصاحف الشريفة .

الهوامش :

- (1) - تاريخ العرب ج 1 الطبعة الرابعة للدكاترة فيليب حتي وجرجي وجبور .
- (2) - المصدر نفسه ج 1 ص 10
- (3) - الاشتقاق والتعريب ص 12 للمرحوم الشيخ عبد القادر دارغوث الشهير « بالمغربي » مطبعة الهلال بمصر 1908 .
- (4) - تاريخ العرب ج 1 الطبعة الرابعة .
- (5) - الاشتقاق والتعريب المذكور آنفا .
- (6) - وقد نشأ عن هذا الخليط من اللفظ العربي والحرف السرياني ما يعرف الآن باللسان « الكرشوني » وبه كتبت أسفار كنسية كثيرة .
- (7) - ذلك لان « السين » في العربية هي (شين) في السريانية : سمس (السريانية) هي (شمس) العربية .

كما اننا نجد كثيرا من الكلمات الكنعانية (الفينيقية) ما برحت لليوم جزءا من اللغة المحكية - التي هي اساسا حصيلة تشويه أو تحريف للغة العربية وما سبقها ، وما دخل فيها من الالفاظ الاعجمية المحرفة - الامر الذي يشجع دعاة احلال العامية محل اللغة الصحيحة ، على المضي في دعوتهم . كما يشجع بعض الفئات على العمل لبعث الحروف الفينيقية (الكنعانية) .

12 - ومن الفضول ان نذكر هنا بقيمة اللغة في حياة كل امة ، على صعيد الثقافة العامة أو القدرة الانتاجية ، والمشاركة في الحضارة الانسانية .

ولساننا العربي اغتنى ، على مر القرون - بتلاقحه مع الالسنة الاخرى . وجاء التعريب ، بعد الاشتقاق ، ليزيد في ثروة هذا التراث اللغوي الذي لا مثيل له ، لدى سائر الامم .

وما علينا اليوم الا ان نتابع السير على هذا الطريق المبد - وبسرعة - ودون تحديد لنطاق الاشتقاق أو التعريب - .

13 - والخلاصة ان اللغة العربية ، في انتشارها لم تكن عالة على الاسلام . ولا انتشر الاسلام بفضل اللغة العربية . انما كان ثمة بينهما تبادل في التأثير والتأثير كما كان مثله بين المسيحية واللغة السريانية - اولا - ثم بينها وبين اللاتينية وما تفرع منها ، فيما بعد .

ولا شك ان كل تيسير وازدهار يتناولان اللغة العربية يؤولان الي انتشارها ، كما يسهلان ادراك الاسلام على حقيقته - في اوساط المسلمين اولا - ثم في الاوساط الاخرى .